سبق ان اورده بهذا الصدد في كتاب سابق له هو « العلاقات الاردنية ــ البريطانية » (بيروت ١٩٧٣)، دونما تغيير يذكر او اضافة . أما عن الضرائب ، فقد سرد أنواع الضرائب في البلاد وطرح معطيات لا تفي القارىء بصورة واضحة عن دخل الدولة من الضرائب المحلية .

فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية ، يورد نبذ قصيرة عن « الفئات الاجتماعية » في البلاد من حيث أنماط معيشتهم ، وهم الفلاحون ، وسكان المدن والبدو . وينطبق على هذا القسم ما سبق قوله عن الاقسام الاخرى (نهجا ومعلومات) ، يقول مثلا في مطلع هذا القسم ان الفلاحين يشكلون ما يزيد عن ٨٥٪ من مجموع السكان . لا يقول لنا متى شكلوا هذه النسبة ؟ ولا طبقا لاي تقدير او مصدر . ولا حاجة للقول ان تقديره بعيد جدا عن الحقيقة ،لا في بداية المرحلة (١٩٢١) ولا في نهايتها (١٩٤٦) . وحتى لا نظلم الكاتب ، نقر ان هذا القسم تضمن بعض المعطيات والملاحظات التي يمكن اعتبارها جديدة للقارىء العادي ، لكنها دون ما هو متاح للمؤلف في المصادر المنشورة وفي الوثائق الرسمية وغيرها والتي كانت ستعطي كتابه قيمته كمؤلف تأريخي حديث .

ان الباب الرابع والاخير من الكتاب يلاحق اوجه تطور « التعليم في عهد الامارة » ، ويشتمل على مدخل عام عن انشاء اول مجمع علمي في البلاد وأهدافه والتشريعات التربوية والتعليمية وتقسيم المعارف اداريا وانواع المدارس . ثم يستعرض نمو التعليم في المدارس الاميرية ، المدارس الخاصة والطائفية ، المهنية ، ونبذة عن البعثات التعليمية.

ان هذا الباب يعد مع الباب الثاني من أفضل ما في الكتاب من حيث كثافة المعلومات والتطورات التي يرصدها .

أما الملاحق فهي تشمل : نص صك الانتداب البريطاني على فلسطين ، المعاهدة الاردنية ــ البريطانية لعام ١٩٢٨ ، القانون الاساسي لشرق الاردن ، قائمة باعضاء المجالس التشريعية ثم اخيرا قائمة باسماء الوزراء ورؤساء الوزارات الاردنية . ان الملحقين الاخيرين يعطيان صورة عن أسر الاعضاء الذين تعاقبوا على المجالس التشريعية ، وعن طبيعة تركيب الحكومات الاردنية . ويفيدان من يدرس الحياة السياسية في البلاد خلال فترة ١٩٢١ ــ ١٩٤٧ .

ان كتاب علي محافظة ، ان من حيث منظوره ورؤيته للتاريخ ، ومن حيث نهجه لا يذهب كثيرا أبعد مما مثل كتاب « تاريخ الاردن في القرن العشرين » ، فهو أقرب الى التأريخ الرسمي ، والى السرد . والى اتخاذ مواقف تبريرية تخدم سياسة السلطة ونهجها ، الا انه فيما عدا الابواب المشار اليها ، لا ينطوي عن اضافة جديدة على الكتب التي سبقت . وقد يكون هذا الكتاب بعيوبه المنهجية ، وقصوره عن احاطة الموضوع بشمول ، موضع استغراب من مدرس في جامعة حديثة ، كالجامعة الاردنية ، وقد يكون نشر الكتاب بمساعدة من الجامعة ، ايضا موضع ذات الدهشة والاستغراب . لكن الكتاب ليس ــ من وجهة نظري ــ أكثر من مظهر لحالة موضوعية قائمة في ميادين البحث والدراسة في الاردن .

هاني حوراني